معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور
على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا
قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل راي واعتقاد
من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزايغ عن الحق
بشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم
فمعناه ان فيها موضعا يتبوا فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك
مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتدا به نكرة لانه دعا
عليهم للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من
التاويلات الزايغة بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيمينه ثم يقولون
هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به غرضا من
اغراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من
العقاب الدايم فويل لهم مما كتبت ايديهم يريد الرشى وقالوا لن
تمسنا النار المس ايصال الشي بالبشرة بحيث تتاثر الحاسة به
واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة
محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل
اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب
مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا
بما تزعمون وقرا ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فلن
يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا
فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال ام تقولون
على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كاين
على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى اتقولون على التقرير
والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا
طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب
النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما

يقصد

٤٤

يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطاء والكسب
استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم
واحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة احواله حتى
صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شي من جوانبه وهذا انما يصح في شان
الكافر لان غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه
فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان
من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه
وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه
فيصير بطبعه مايلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها
مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة
الذين اساوا السوا ان كذبوا بايات الله وقرا نافع خطياته وقرى
خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار
ملازموها في الاخرة كما انهم ملازمون اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون
دايمون او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة فيها على خلود
صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى ان
يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على
الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل
لا تعبدون الا الله اخبار في معنى النهي كقوله لا تضار كاتب ولا شهيد
وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتها
فهو يخبر عنه ويعضده قراة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على
ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله
الا ايهذا الزاجري احضر الوغا ويدل عليه قراة ان لا تعبدوا وانه قال
خلقناهم لا تعبدون وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب
بالتا حكاية لما خوطبوا به والباقون باليا لانهم غيب وبالوالدين احسانا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)